

الفصل الخامس عشر

الاسفنج في مصر



obeikandi.com

مياه مصر الشمالية الغربية موطن لأخصب منابت الاسفنج فى العالم . وفيها أجود أنواعه على الإطلاق . فقد أجمعت الآراء على أن اسفنج « هنى كب » واسفنج « تركى كب » - الأول من منابت مرسى مطروح . والآخر من غربى سيدى عبد الرحمن - هما أجود أصناف البحر الأبيض المتوسط كله .

وكانت هذه المنابت الفنية الغدة لا تسترعى انتباه أحد . وتركت نهبا للأمواج تفعل فيها ما تفعل . وفى ذلك الوقت كانت الجزر الاغريقية تستغل منابت الاسفنج فى مياهها . وتتزعم التجارة الاسفنجية بل تحتكرها . ولما نضبت هذه الموارد أو لم تعد تكفى الصائدين الغواصين نزحوا ينشدون منابت أخرى فوقعوا فى سنة ١٨١٠ على منابت الاسفنج المصرى واتخذوا ميناء مرسى مطروح قاعدة لسفن هذا الصيد . ومنها استغلوا منابت درنة وبنغازى منذ سنة ١٨٦٠ ومنابت طرابلس وصفاقس سنة ١٨٨٤ .

وقد بدىء باسعمال آلة الفوص فى استخراج الاسفنج ببحر ايجه والحوض الشرقى للبحر الأبيض المتوسط حوالى سنة ١٨٦٦ وظل استعمالها قاصرا على اليونانيين فى الغالب . وفى سنة ١٩٠٣ كان هناك ١٨٨ جهازا للفوص تستعملها سفن يخفق عليها العلم اليونانى . وارتفع عددها بعد ذلك الى ما بين ٢٥٠ و ٣٠٠ سفينة فى البحر الأبيض المتوسط .

وفى يونية ١٨٨٦ تنبّهت الحكومة المصرية الى ما يضيع على البلد من هذا الخير العظيم . فصدر أمر عال يحرم الصيد بدون إذن خاص . ولكن يظهر أن الأمر العالى لم يكن يراعى تنفيذه على أية صورة . وكان غواصو اليونان يقدون الى مرسى مطروح كمعادتهم سنويا فيدفع الواحد منهم جملا بسيطا (عشرة قروش تركية) الى أحد مشايخ العربان فى القبائل المجاورة للميناء . ويحصلون منه على ايصال يعطى

صاحبه الحق على البدو المنتشرين على طول الساحل فى أن يمونه بالماء
والمواد الغذائية .

وفى ١٩٠٢/٤/٢٤ صدر أمر عال يوجب الحصول على رخصة
لصيد الاسفنج فى المياه البحرية المصرية . ويمنع استعمال الآلات
المعروفة بناقوص الغواصين (اسكافندر) .

وفى ١٩٠٢/٦/٩ صدر قرار وزارى من وزارة المالية لتفصيل
الاجراءات التى يستلزمها تنفيذ الأمر العالى . فأوجب أن تكون رسوم
رخصة المركب ذات الساريين (المعروفة بالاسكافى) ٨ جنيهات
سنويا . والمركب ذات السارية الواحدة (المعروفة بالسيلا) ٤ جنيهات .
وحدد منطقة المياه المصرية بثلاثة أميال فى الشاطئ . وخولت لمدير
عام مصلحة خفر السواحل سلطة تنفيذ هذا القرار اعتبارا من أول
يناير سنة ١٩٠٣ . ومع ذلك فقد استمر تسرب المراكب اليونانية الى
منابت الاسفنج المصرى واستغلالها استغلالا لا يتقيد بأوامر عالية
أو قرارات وزارية الى أن صدر قرار آخر وزارى لايقاف هذه
المخالفات . فحدد المنطقة الممنوعة لصيد الاسفنج بخط مستقيم يبدأ
من منطقة واقعة على بعد ثلاثة أميال بحرية شمال رأس الضبعة . الى
نقطة واقعة على بعد ثلاثة أميال بحرية شمالى نقطة العجمى . وهذه
المنطقة تشمل منابت الاسفنج المصرى .

وتمتد منابت الاسفنج المصرى على خط مستقيم من الاسكندرية الى
مرسى مطروح ، ثم ينقطع تماما الى أن يظهر فى السلوم ، وجميع هذه
المنابت موجودة فى داخل المياه المصرية (الثلاثة الأميال) . الا أنه فى
شرقى رأس جيسا تمتد المنابت الى أبعد من حدود المياه المصرية .

وهناك فرق عظيم فى طبيعة هذه المنابت ، اذ تختلف باختلاف
الأمكنة التى تنشأ فيها ، ويظهر الفرق أكثر وضوحا بين الجهتين الشرقية
والغربية لرأس الحكمة (المسمى عند العامة برأس الكنايس) فالنوع
المعروف باسم (تركى كب) الذى هو أجود الأنواع . يتواجد بكثرة عند
سيدى عبد الرحمن ويمتد الى رأس الحكمة ، وبعد ذلك ينعدم تماما .
وفى الجهة الأخرى من رأس الحكمة نجد أحسن أنواع الهنى كب
أو اسفنج الاستحمام عند مرسى مطروح .

وقد اتضح من الاحصائيات أن منابت الاسفنج المصرى تستطيع أن
تعمل فيها ١٥٧ مركبا على الأقل من مراكب الغواصين العراة فى كل

موسم لسنوات عدة دون أن تتأثر أو يبدو عليها أية علامات تنذر بالنضوب .

كيفية تكاثر الاسفنج :

قطعة الاسفنج التي نراها . ما هي الا بقايا ورواسب الحيوان الاسفنجي ذى الخلية الواحدة . وتكون بمثابة مستعمرة له أو مساكن . والاسفنج وهو فى قاع الماء تكسوه طبقة هلامية يعيش فيها هذا الحيوان الدقيق . فاذا ما استخرجت من الماء جفت هذه الطبقة ومات ما بها من حيوانات .

وقد قامت أبحاث كثيرة للوقوف على طريقة تكاثر الحيوان الاسفنجي ، وآخر ما وصلت اليه أن هذا الحيوان يتناسل بطريق التلقيح - وقد عثر على بويضات كثيرة كاملة التكوين فى داخل المستعمرات الاسفنجية التى تم فحصها بين نوفمبر ومارس . ولكن عملية التلقيح نفسها لم تشاهد . ولذا لا يعرف عن يقين ما اذا كان الجنسان (أى الذكر والأنثى) منفصلين أو ان الحيوان الدقيق يجمع بين التذكير والتأنيث .

وتظهر بواكير البويضات فى اكتوبر ، ثم يتم تكوينها فى يناير وفبراير ومارس - وعندما يتم نضج هذه البويضات ينشق غلافها من تلقاء نفسه ويخرج منها أحياء ديدانية دقيقة يكسوها شعر دقيق . فتطفو على سطح الماء ، وهذا يحدث فى الاسبوع الرابع من مارس ويستمر الى الاسبوع الثالث من شهر يونية ، وتختلف المدة باختلاف حالة الجو .

ويرجح على العموم أن الجزء الأعظم من هذه الأحياء نخرج من البويضات فى النصف الثانى من شهر مايو عندما تكون درجة حرارة المياه ١٧ سنتيجراد . وقد دلت التجارب العلمية على أن هذه الأحياء تظل طافية على سطح الماء باستمرار لمدة خمس ساعات . وهى فترة كافية لان يدفعها تيار الماء الى مسافات شاسعة ، وهى فى هذه الحالة يقصصها النور اذا كان شديدا ويجذبها اذا كان ضئيلا . وهى لا تسعى الى الظلام الا عندما تكتسب شكلا مفرطحا تماما ، واذا ذاك تأخذ فى النزول الى القاع فتعلق بالمواد النباتية والمعدنية الثابتة وتبتدىء فى تكوين المستعمرة . وبهذه الكيفية . فلا بد للمنبت الذى ينضب من كثرة ما أخذ منه أن يعمر ثانية على مر الأيام .

طرق صيد الاسفنج :

١ - آلة ناقوس الفواصين (اسكافندر) أى لباس الفوص :
فى أثناء العمل بهذه لابد أن تتحرك السفينة باستمرار الى الامام
مع الريح ، ومن جانب الى آخر حسب موقع الفواص . وفى حالة اعتدال
الريح يقطر المركب ولدان من قارب صغير يعاونهمسا اثنان من نوتية
السفينة نفسها ، واما فى حالة اشتداد الريح فالعادة أن تقذف بمرساة
صغيرة فى اتجاه الريح لكى تجذب السفينة نحوها .

وانسب عمق الاسفنج هو ما كان بين ٩٠ و ١٥٠ قدما ولا يقل
عن ٧٢ قدما ويندر أن يزيد عن ١٨٠ . والبقاء مدة طويلة تحت عمق
يزيد عن ١٢٠ قدما يؤدى الى نكبات للفواصين . ولذلك فقد اهتمت جميع
البلاد المتمدينة بوضع قواعد وقوانين تحدد أقصى مدة للفواصين فى
الاعماق المختلفة .

وقد صدر بذلك القرار الوزارى رقم ١٩٣٢/٧ . فأوجب أن يحصل
الفواصون سنويا على شهادة طبية تثبت أهليتهم لمباشرة مهمة الفوص .
كما حدد مدة بقاء الفواصين تحت الماء فى الاعماق المختلفة كالآتى : -

لغاية ١٥	قائمة	ساعة
١٦ - ٢٠	قائمة	٣٠ دقيقة
٢١ - ٢٥	قائمة	١٥ دقيقة
٢٦ - ٣٠	قائمة	١٠ دقائق
٣١ - ٣٥	قائمة	٥ دقائق

ولا يغرب عن البال أن آلة التنفس تدار باستمرار خلال هذه المدد ،
وعلى الربان أن يعطى للفواص اشارة بالصعود الى سطح الماء .
والنتيجة لبقاء الفواص تحت الماء مدة أطول من اللازم أن يصاب
بتنوع من الفالج والعلاج المألوف بين الفواصين لهذه الحالة هو تدليك الجزء
المفلوج بالروم والبصل مع الامتناع عن العمل طوال اليوم .

٢ - جهاز فرنيسى :

هذا الجهاز حديث العهد ولم يظهر الا فى سنة ١٩١٢ ولم يعم
استعماله فى مصايد الاسفنج التجارية الا فى السنين الأخيرة .
وهو اختراع فرنسى يتكون من قناع من المطاط يشبه كمامة الغازات

وله أنابيب وصمامات لتسجيل التنفس وتجديد الهواء بآلة خاصة بذلك .
وهذا الجهاز صغير الحجم خفيف الوزن بحيث يسهل وضعه على الجزء
الخلفى من سطح السفن الصغيرة المستعملة وهي لا تتجاوز ستة أمتار
طولا . ويأخذ الفواصون الذين يستعملون هذا الجهاز حجرا ثقيلا معهم
ليساعدهم على النزول الى القاع .

وهذا الجهاز يكاد يضارع الجهاز السابق ، وقد بلغ متوسط الزمن
الذى استغرقه الفواصون به تحت الماء من ١٠ الى ١٢ دقيقة ووصلوا الى
الأعماق التى يصل إليها عادة غواصو الاسكافندر . ولكن له مضار يتكرر
وقوعها وهو تمزق قاعه . ولهذا اعتاد الفواصون أن يحمل كل قارب معه
١٠ أو ١٢ جهازا احتياطيا .

٣ - الفوص العارى :

أى الفوص بدون أى جهاز ، ويستطيع الفواص أن يظل تحت الماء
بمتوسط ٢٥ أو ٣٥ من الدقائق . ومن عادة هؤلاء الفواصين أن يظل
الواحد منهم قبل النزول الى الماء يستنشق الهواء بتؤدة وبطء دقيقتين
أو ثلاثا لتنظيف المجارى التنفسية حتى يستطيع أن يبقى تحت سطح
الماء أطول مدة ممكنة .

ويأخذ الفواص معه قطعة من الرخام ثقلها ١٤ كيو جراما لتساعده
على النزول السريع الى القاع . وهي مثبتة تحت ابطه حتى لا تعوق حركة
يديه . وحبل النجاة مربوط فى ذراعه حتى اذا أعطى اشارة بشد هذا
الحبل جذبه زملاؤه الى سطح السفينة .

ويلاحظ أن متبعي الفوص العارى يستكشفون قاع الماء « بمنظار
الماء » وهو عبارة عن اسطوانة معدنية لها قاعدة من الزجاج الغرض منها
منع التموجات الخفيفة التى تكون على سطح الماء فتظهر محتويات القاع
بوضوح تام .

تنظيف الاسفنج :

تنظيف الاسفنج من أسهل العمليات ، والعادة عند الفواصين أنهم
فى آخر كل يوم من أيام الصيد يضعون الاسفنج المصيد على ظهر السفينة
ويطئون به بالأقدام . لتخليصه من الأحياء والمواد العضوية ، فتخرج على
هيئة سائل لبنى مائل الى الزرقة ، وبعدئذ يربط الاسفنج ويدلى فى الماء
نفسه . فى الصباح تكرر هذه العملية مرة أخرى . ثم ينشر ليجف

وأخيرا يوضع فى أكياس ويخزن الى أن تخرج السفينة الى البر فينشر فى الشمس على الرمال يوما كاملا ليتم جفافه . وبعد ذلك يكون صالحا للتصدير .

بعد هذه العملية يجرى دور التبييض واعطاء الاسفنج اللون المعروف فى الأسواق . وهذه العملية عادة كانت تجرى فى خارج البلاد .

انواع الاسفنج :

أجوده التركى كب ، كما أسلفنا ، يليه فى المرتبة الهنى كب . وهناك نوع آخر يسمى الزيموكا ، ويكثر بين رأس قببسه الى أبى جراب على الأخص . وهو صغير الحجم فى الغالب ، وقيمتة التجارية والاقتصادية ليست على كبير أهمية ، وإن كانت توجد فى جوار صخور اشبلا وطيفا نماذج منه جيدة الصنف تحاكي فى نعومة ملمسها نوع التركى كب ، ولكن يقال انه لا ينمو لأكثر من حجمه الصغير المعروف .

استغلال منابت الاسفنج فى الوقت الحاضر :

كان اليونانيون الذين يستغلون منابت الاسفنج المصرى الى ما قبل الحرب العالمية الأخيرة ، ثم أوقفت عملية تأجير هذه المنابت بسبب العمليات الحربية التى كانت دائرة فى مناطق صيد الاسفنج .

وما أن انجلت هذه الحرب حتى اتجهت أنظار الحكومة الى تمصير استغلال الاسفنج فحتمت أن يكون تأجيرها لشركة مصرية . وفعلًا تم ذلك وكان التأجير لمدة خمس سنوات ابتداء من يونيه سنة ١٩٤٧ . وقد اشترطت أن يتم تنظيف وتبييض وتجهيز الاسفنج فى مصر . ليكون صالحا للتصدير رأسا الى أسواق الاستهلاك مباشرة باسم الاسفنج المصرى . خصوصا وأن هذه العمليات كانت تتم فى الخارج وبذلك لم يكن ينسب الى منابته الأصلية بمصر . ويضيق على الاقتصاد القومى الشئ الكثير .

كما اشترطت الحكومة عند التأجير تمرين عدد معين من المصريين على الغوص تزيد نسبتهم كل سنة عن الأخرى . وبذلك يتيسر وجود فئة من الغواصين المصريين المتمرنين يمكن الاستعاضة بهم عن الأجانب . وعندئذ يصبح استغلال منابت الاسفنج مصرية من جميع النواحي .

ولم تلبث الحكومة أن أدركت مسيس الحاجة الى هذا المكتب الذى

كان قد بدأ يؤتى ثماره فأعادت في سنة ١٩٢٨ فتحه مستعينة بالخبراء الأجانب انتظارا لعودة أعضاء البعثات من الخارج . وكان هذا نواة لإدارة الأحياء المائية والمصايد التي كانت تابعة وقتئذ لوزارة المالية .

وفي سنة ١٩٣١ أنشأت الحكومة معهد الأحياء المائية الحالي بقايتباى على غرار معهد الأحياء المائية بالشاطبي الذي أقفل في سنة ١٩٢٤ بأذلة قصارى جهدها في أن تستوفى طرائق البحث العلمي والتطبيق في معهدها فأوصت بشراء باخرة مجهزة للكشف العلمي بالبحار هي الباخرة « مباحث » ولنش للصيد قرب الشواطئ « للنش الحوت » .

ولما اعتزمت بعثة السير جون موري سنة ١٩٣٣ البحث في المحيط الهندي طلبت الى الحكومة المصرية أن تعيرها سفينتها العلمية بضباطها وبحارتها وبعض من رجالها الاخصائيين في كشف البحار .

وفي سنتي ١٩٣٤ و ١٩٣٥ خرجت الباخرة مباحث مرة أخرى الى البحر الأحمر وعليها بعثة مشتركة من كلية العلوم بجامعة القاهرة ومن إدارة الأحياء المائية والمصايد لكشف هذا البحر اتماما لأعمال بعثة السير جون موري في المحيط الهندي لما بين المحيط الهندي والبحر الأحمر من اتصال .

وحرصت الحكومة المصرية على ارسال مندوب دائم عنها للاشتراك في أعمال القومسيون الدولي بالبحر الأبيض المتوسط هو مدير إدارة الأحياء .

مهمة معهد الاسكندرية للأحياء المائية :

مهمة المعهد هي الاشراف العلمي والفني على جميع مصايد القطر المصري واجراء البحوث العلمية لدراسة جميع احياء المياه المصرية من أسماك وغيرها ويعنى اخصائيو الأحياء المائية بدراسة النباتات والحيوانات المائية بأنواعها وتفهم طرائق حياتها ونموها وتناسلها كما يعنى بفحص خصائص المياه التي تعيش فيها . وليست الثروة المائية مقصورة على الأسماك وحدها فثمة احياء أخرى يستعملها الانسان في غذائه وزينته ودوائه كذوات القشور والأصداف والاسفنج والأعشاب البحرية . . الخ ويقوم المعهد بتحرير الاستشارات الفنية الخاصة بمسائل الصيد بأنواعها ويخطط الطريق الفنية ويقترح الوسائل العلمية التي من شأنها زيادة الثروة المائية .

وتنقسم أعمال المعهد الى :

١ - أعمال علمية - خاصة بدراسة الأسماك وغيرها من قاطنات المياه وتقرير أنواع الأحياء المائية بمصر ، وبحث خصائص المياه في البحار والبحيرات والنيل .

٢ - أعمال عملية تطبيقية - وهذه الأعمال خاصة بانتهاج الطرق التي من شأنها المحافظة على إنتاج المياه والعمل على زيادتها .

وقد استطاع المعهد أن ينتفع أولا بأول بجميع الدراسات البيولوجية أو الهيدروغرافية التي تابعها لتحويل تلك الدراسات العلمية الى حقائق عملية تحفظ للبلاد ثروتها . فقد تدارك الفناء الذي كان مآل الملايين من الأسماك لو لم يتم بنقلها الى موقع استطاعت فيه الحياة والنماء وأنقذ بحيرات كانت في طريق الامحال فأعاد اليها رخاءها رغم ما قضت به طرق تحسين الري والصرف في البلاد من نقص محتوم في إنتاج الأسماك .

ولقد أضاف المعهد الى أعماله بتشجيع الحكومة وإشرافها مهام أخرى اقتصادية كاحصاء المصيد من جميع مياه القطر ومعرفة أثمان الأسماك بأنواعها في كل ناحية وحالة الأسواق وأثر الوسطاء فيها والعمل على رفع الحالة المعيشية للصيادين وإيجاد روح التعاون بينهم وتسهيل عمليات التسليف والعمل على إنشاء مصانع لحفظ السردين وغيره من الأسماك في العلب وبالطرق الأخرى مثل التمليح والتدخين .

وقد عيّنت مصائد الأسماك بهذه النواحي الاقتصادية فأنشأت إدارة خاصة لاقتصاديات الأسماك .

وأخيرا اتجه المعهد الى تنشئة نواة طيبة من صيادى البحار حينما وافقت المدرسة البحرية على أن يقوم أخصائيو المعهد بتدريس مادة الصيد لطلبتها .

ويجرى المعهد معامل معدة لمتابعة البحوث المائية وبه مكتبة هي المرجع الأول في مصر للدراسات الأحياءية وبيولوجية وما يتصل بها من العلوم الطبيعية والكيمائية والبيولوجية ومتحف تعرض فيه نماذج الأحياء المائية المصرية واكواريوم لمراقبة الأحياء المائية في وسط قريب من وسطها

الطبيعى ويتبع المعهد محطات تجارب بالمكس والقناطر الحيرية والسرو
لتربية الأسماك والعمل على أقلمتها واكثارها . وكذلك مراكز للبحوث فى
قارون والمطرية وبلغيم للاشراف على مصايد البحيرات وتنميتها .

فضلا عن رحلة الباخرة العلمية مباحث الى المحيط الهندى وما جاءت
به من تقارير الأبحاث المائية بالمعهد فقد كان للبحارة المصريين التابعين
لمصلحة السواحل فضل يذكر فى هذه المهمة الشاقة التاريخية
العظيمة .